IJCRT.ORG ISSN : 2320-2882

INTERNATIONAL JOURNAL OF CREATIVE RESEARCH THOUGHTS (IJCRT)

An International Open Access, Peer-reviewed, Refereed Journal

صورة المرأة في قصص توفيق الحكيم القصيرة

Nahida koser ,Ph.D Research scholar,BGSB University Rajouri,J&K.

الملخص:

موضوع المرأة كان من أهم الموضوعات في القرن التاسع عشر، فلا يجد أحد أن يتكلم في هذا الموضوع أو يتحدث عنه بصراحة لأن قضية المرأة كانت في غاية التعقيد لأن المجتمع المصري قد تراكمت عليه الأوهام فلم يكن من السهل أن يتكلم أحد في موضوعات يتعلق بشئونه المجتمع المصري، وخاصة قضية المرأة المصرية وما يتعلق بها من تعليمها وتثقيفها وحجابها وسفورها، فكان كل، مصلح يتململ من صميم قلبه بأن تحسن شؤون المرأة ولكنه كان يخاف على نفسه بأن يثير هذا الموضوع النزاع بين أنصار القديم وأنصار الجديد.

وأول مصلح الذي تحدث في هذا الموضوع بجرأة هو قاسم أمين الذي دعا إلى ضرورة تعليم المرأة وحريتها وكتب حول هذا الموضوع أبحاث ومقالات ونشرت مقالاته في كتابين (**تحريرالمرأة**)، و(**المرأة الجديدة**) وقد أثارت هذان الكتابان الرأي العام واهتز المجتمع المصري بعد صدور هذين الكتابين وقد تأثرت بأزائه وأفكاره، الطبقة المستنيرة من الأدباء والكتاب والأخص الذين تثقفوا بالثقافة العربية والثقافة الغربية وهؤلاء الكتاب هم: محمد حسين هيكل ، العقاد والمازني وطه حسين وتوفيق الحكيم وهلم جرا.

المدخل:

لقد تحدث الكاتب الروائي توفيق الحكيم في قصصه ومقالاته عن قضية المرأة المصرية وما يتعلق بها من تعليمها وتثقيفها، ونحن نعلم عنه أنه قضى عدة سنوات من عمره في فرنسا، فدرس فيها العلوم العصرية والثقافة الجديدة واتصل هناك بالحياة الغربية اتصالا وثيقا، وعرف كتاب فرنسا وأدبائها، فتأثر بمناهج بحثهم، وعمق، فكرهم، كما رأى فيها التطور الفكري والثقافي والاجتماعي وكما تعرف من قرب على إشكال من العلاقات بين الرجل والمرأة أكثر تحررا وتطورا من بلاد العربية، فلما رجع مصر، شارك الحياة العامة. فالكاتب كان يدرك أهمية المرأة في حياة المجتمع فهي نفسها تخلق الفنان وتوحى إليه وكذلك كان يدرك دورها في قيام الحضارات وفي إيقاظهم الفنانين وتنشيط الحركة الفكرية.

فكان يدرك تماما أن المجتمع المصري لا يمكن لكان يتطور ويتقدم إذ لم تصلح حالة المرأة المصرية، لأن المرأة هي أم ومربية ومعلمه فينفس الوقت. فهو من الذين يؤيدون تعليم المرأة،

فكان يتصور بأن المرأة يجب أن تتعلم وتتثقف وتساهم في النهضة العلمية والفكرية ولكن كل ذلك في حدود معين وكما كان يريد لها أن تساوي الرجل وتخرج إلى ميدان العمل الذي يتفق طبيعتها وظروفها وهو يرى أن مرجع الضعف والتخلف في الأمة العربية هي جهل المرأة وحرمانها من حريتها.

ننظر هذه الفكرة السديدة في هذه القطعة الفنية، فيقول:

"إنه ليدهشني حقا أن بعض الشباب المثقف نادى يوما بفعل الجنسين في الجامعة المصرية، في وقت أثر فيه نظام الدراسة المتحدة أخرج لنا فتيات حائزات على "الليانس" و"الماجستير" و"الدكتوراة" من فخر مصر، وهن أنصع دليل على رقي مصر العقلي في الوقت الحاضر، إن القول بأن المرأة تثقيفا تاما، لتكون زينة البيت، وأستاذ الطفل، ومعلما الجيل. إن المرأة ليست قطعة من أثاث البيت توضع فيه بجهلها وعقلها المغلق، وهي ليست خادما تطعم الرجل وتغسل له ملابسه، ولكنها شريك محترم ينبغي أن يجد فيه الرجل متعة عقلية تحبب إليه البيت. أما شبع رجالنا طول الأجيال الماضية جلوسا في القهوات والحانات يأنس بعضهم ببعض، هاربين من وحشة المنزل الذي لا يحوى غير نساء كالخادمات؟"، نعم، إن المرأة للبيت ولكنها لكي تكون بحق ملكة البيت وقرة عينيه يجب، أن نثقف أكمل ثقافة. إن من النساء في صدر الإسلام من فقن الرجال في فنون الشعر والأدب والعلم والجدل وقد كان لبعضهن مجالس مشهورة يحضرها رجال الدولة ونوابغ، الشعراء والأدباء والمغنين وكان ذلك في عصر لم تزاحم فيه المرأة الرجل في المناصب والأعمال.

كذلك فلنقل عن ثقافة المرأة الأوربية، يوم كانت صالوناتها تضم أعظم العباقرة، دون أن تخرج المرأة وقتئذ من أجل ذلك عن وظيفتها، فتزاحم الرجل في أسباب معاشه، لا ينبغي إذن أن نخلط بين أمر تثقيف المرأة وبين أمر وظيفتها.

إن المرأة زهرة البيت وروحه، بل زهرة المجتمع وروحه كلنا في ذلك متفقون، فلنجهلها إذن زهرة، وهل نعرف زهرة أينعت دون أن تتعرض قليلا للشمس والهواء. فلما ذر كل الحذر من حبس المرأة، فإن في ذلك حبسا لعقلها وموتا لشخصيتها، ولنذكر أننا إلى اليوم ندفع غاليا ثمن سجن المرأة المصرية في الماضي فهي كلما دعتها الظروف إلى مواجهة الحياة والمجتمع اهتزت قدماها ضعفاء وأحمر وجهها حياء، وتلعثمت وتعثرت في هزالها النفسي والفكري، وظهرت بمظهر يدعوا إلى الرثاء والإشفاق وبدت للأعين لقرب إليه الخادمات المحجوبات منها إلى سيدة، مهذبة قوية بشخصيتها وتجاريبها، واثقة من نفسها ومن احترام الناس لهاكل هذا حدث، لأن المرأة في مصر ذبل عقلها من طوال السجن ولم تعتد مواجهة المجتمع منذ الصغر إن إقصاء المرأة عن مجتمعنا كما يقضى الحيوان الحقير جريمة فظيعة، هي القتل المعنوي بعينه لا أكثر ولا أقل، وهو أو امتهان لكرامتها ولآدميتها امتهانا يجب عليها أن تثور من أجله، وأن تقيم الدميا وتعقدها، ولا تسكت عنه كما سكنت فيما مضى من أجيال، المسألة مسألة حياتها أو موتها، وأن الذين يريدون قتلها، باسم الدين والدين بري لا يدركون أنهم بذلك إنما يقتلون أنفسهم بأيديهم.

ويقول في موضوع آخر عن دور المرأة في قيام الحضارات:

"إن المرأة هي الروح الفن، ولو لم توجد المرأة على هذه الأرض فربما وجد العلم لكن المحقق أنه ما كان يوجد الفن ذلك إن الإلهام الفني هو نفسه قد خلق على صورة ما من فنانا مرأة

وأن لكل لون ألوان الفن عروسا هي التي تنثر ازهاره على الناس، ما من فنان على هذه الأرض ابتدع شيئا إلا في ظل امرأة على أن الإنصاف يقتضيني أن أقول: إن المراة اذ تحطم من جانب فهي تبنى من جانب إنها كالطبيعة، في يديها العبقريتان: عبقرية الغنا وعبقرية البناء، وأنه لمن المستحيل أن نرى في التاريخ حضارة قامت، بدونها ولا انحطت بدونها وإن عرشها في مملكة الفن أظهر العروش، أنني استطيع أن أقول على سبيل المثال أن أجمل "الفن الرومانتيكي" الفرنسي إنما نبع، تحت أقدام "مدام ريكاميه" وأن صالونات السيدات فتى أوربا، ومجالس الشعراء والغناء في الشرق عند العرب - هي التي أخرجت أجمل ما في الغرب والشرق من شعر وآداب.

ولا أستطيع أن أضرب هذه الأمثلة ولكن من يفتح أي كتاب من، كتب العرب القديمة يرى وصف تلك المجالس التي كانت تتصدرها نساء كالشموس، وتضم فحول الشعراء والمغنين ويقرأ تلك الأخبار التي لا تنهتي عن ذكر الجواري المثقفات والنساء الشريفات اللآئي كن ينظمن - في السر والعلن - تلك المجالس التي فيها نظم أجمل الشعر، وتفتحت أزاهير أنبغ القرائح ولـ "علية" أخت "هارون الرشيد" في فنون الشعر والغناء، أثر فيمن حولها من كبار الفنانين والشعراء و"مدام ذوق دي بومبادور" أبرز في حركة الفكر والفن في عصرها، ففي الغرب هي المرآة، وفي الشرق هي المرآة، وحيثما وجدت المرأة صاحبة الذوق وجد في الحال والفن، ونهض الفكر وقامت الحضارة.

إذا قيل إن مصر الحديثة لم ترفنا ناهضا، ومنثم لم تبد أمام العالم بعد في ثوب الأمة المتحضرة، فإن السبب الوحيد أن المرأة المصرية ذات الذوق والروح ما زالت في مصرنا نادرة الوجود.

إن اليوم الذى تعني فيه المصرية باقتناء الوحة زيتية صغيرة أو "اسكيس" بيسط، ينم عن ذوق تزين به جدار منزلها هو اليوم الذي يزهو فيه عندنا التصوير، واليوم الذي تهتم فيه المصرية بشراء نسخة من كل كتاب جديد للمؤلف الذي تفضله وتجلد هذه النسخة وتعرضها عرضا جميلا، وتتحدث عما فيها من كلام وأفكار في مجالسها، لهو اليوم الذي يرقى فيه عندنا الفكر والأدب.

وإن اليوم الذي توجد فيه المرأة العظيمة التي تكرس بعض همه الإيقاظ همم الفنانين، وتنشيط الحركة الفكرية لهو اليوم الذي نقترب فيه من المدنية الحقيقية، نحن في حاجة ماسة إلى البيت الذي تنمو فيه كل ملكات الطفل الجميلة. إن أظهر عيب في المصرية الآن هو افتقارها إلى الذوق أي الإحساس بالجمال في الأشياء، كم من المصريات تعتبر الأزهار في بيتها ضرورة كضرورة الطعام والشراب، إذا وصلت المصرية إلى هذه الدرجة من الحس المرهف وبلغت في دقة مشاعرها حدا لا تستطيع معه أن تستغني في حياتها اليومية عن الجمال في الألوان والأصوات والأفكار.

قد ناقش توفيق الحكيم في قصصه مناقشة علمية عن حرية المرأة وتحررها، وعرض لنا الكاتب الروائي توفيق الحكيم في بعض قصصه وجهة المرأة التي تدافع السفور وتؤيد الحرية المطلقة.

في قصة "مؤتمر الحب" نجد الكاتب الكبير والقاص المجد توفيق الحكيم يصور المرأة باعتبارها شخصية محورية التي تريد الحصول على الجواب الصحيح كان تعتقد. وقالت إنها مستعد لتسليم نفسه إذا كان يحصل على الإجابة الصحيحة من أحد الرجال الذين أجابوا بنجاح.

نضال الحركة النسائية في هذه القصة القصيرة هناك النسائية ذات الطابع الأنثوي الذي تريد أن تكون معترف بها، والاستماع، وأطاع إراته.

توفيق الحكيم القاص يصف مرة يفرد المرأة، كما هو الحال في العديد من القصص الأخرى في نفس الكتاب. وقال إنه يجسد امرأة تكون شخصية نسائية الذين يناضلون من أجل حقوقهم. كما في قصة أنا الموت، ومعجزات وكرامات، وامرأة غلبت الشيطان، والحبيب المجهول، وأسعد زوجين ووجه الحقيقة.

تريد النساء في القصة للقتال من أجل حقوقهم، وتعتبر من قبل الرجال. تؤد النساء أيضا لا بد من الاعتراف بوجودها. وللمرأة دور هام في المجتمعات.

ووجدنا فكرين قاسم أمين مباريات مع الحركة النسائية في القصة القصيرة "مؤتمر الحب"، وهي:

1. تصل النساء إلى نصف عدد السكان في كل بلد، وتمكن أن تتقدم الدولة دون متابعة لتشمل النساء.
2. تقع النساء اهتماما في إعداد الجيل القادم من خلال تعليم الأطفال في الأسرة ولزوجها. وسوف تلعب دورا في الحياة الاجتماعية، والتي يمكن أن يتم إذا أعطيت المرأة على التعليم. وتمكن للمرأة أيضا أن تكون كالرجل الذي لديه إمكانات كبيرة في مجال التعليم وتتاح لهم الفرصة لتطوير القدرة أو الإبداع في امتلاك[1].

عدد النساء في هذا العالم هناك نصف العدد من البشر. في قصة مؤتمر الحب تشتمل أن المرأة تقع اهتماما، وتستطيع أن تهيمن على الرجال. بالرغم من وجود امرأ واحدة فقط في هذه القصة، ولكنها يمكن أن تؤثر على الرجال.

تتضح من الاقتباس التالي:

"هؤلاء الأربعة هم: صحفي وشاعر وموسيقي وامرأة، كل شيء فيهم كان ينم على أن المرأة معبودتهم"[2].

هكذا يتضح هيمنة المرأة في هذه القصة القصيرة هي في محادثة عندما كل شخص تختار الموضوع. لا شيء يوافق على جميع المقترحات من الرجال، وعندما وضعت المرأة الاقتراح، هم توافق جميعة. ثبت أن تكون لها تأثير قوية، على الرغم من أن الأرقام ليست قابلة للمقارنة من الرجال.

---

1. Qasim Amin, Sejarah Penindasan Perempuan, Menggugat Islam Laki – Laki, Menggurat Perempuan Baru (Yogyakarta: IRCiSoD, 2003), page no, 85-109.
2. توفيق الحكيم، **أرني الله**، قصص قصيرة فلسفية، (مصر: دار مصر للطباعة، دون سنة الطباعة)، ص: 123.

في هذه القصة لا تصور البلاد، ولكن في هذه المجموعة مناقشة، لديها المرأة دورا هاما في المناقشة. ويتضح في الاقتباس التالي:

"إذا أردتم الإنصاف فإني أقترح أن يكون الموضوع مما يهمنا جميعا... ابحثوا عن موضوع يهم المجميع..."[3].

بعد أن تقترح امرأة للمناقشة حول الحب، وصدم الرجال الثلاثة لسماع الاقتراح. كانوا مذعورين وكأن الأصل للمرأة هو شيء غير عادي. شهد ثالث مفاجأة لها، تعطى المرأة على الفور أسباب عدة لتعزيز الاقتراح. مثل المحادثة أدناه:

" ومضت المرأة تقول :

إنه بالتأكيد يهمكم أجمعين... إنه يهم الصحفى... وهل تستطيع أيها الصحفى أن تنكر أن أعجب خبر نشر فى القرن العشرين هو حب ملك الإنجليز لـ "ليدى سمبسون"، ونزوله عن العرش الضخم من أجل هذا الحب!؟... وأنت أيها الشاعر هل تجحد أن الحب هو الذى أثار حرب "طروادة" وألهم "هوميروس" الإلياذة ... أخلد شعر على الدهر؟ ... وأنت أيها الموسيقى هل تنفى أن المزمار منذ وجد، والقيثارة منذ صنعت لهما هدف غير التعبير عن الحب ؟!

فقال الجميع بصوت واحد:

- صحيح..."[4].

وأوضحت المرأة السبب في موضوع الحب هو مناسبة للمناقشة. إنه ليس فقط أوضح عالميا، لكنه كان قادرا على إعطاء سبب لكل صديق. والرجال الثلاثة في النهاية وافقوا وأكدوا على اقتراح المرأة.

من المحادثة أعلاه، لأول المرة، يتضح أن المرأة ليست قابلة للمقارنة في عدد لكان الرجل قادرا على تعزيز أو المشكلة في القضية، على الرغم من أنه ليس من شأن الدولة. ثانيا، فإن النساء في هذه القصة لها دور بارز في تقدم المحادثة أو تقدم المجتمع.

وكذلك نجد حقيقة مكانة المرأة في نظر الكاتب في المجتمع البشري وضرورتها فيه، في قصة من قصصه "نصيب" من مجموعة القصص "مدرسة المغفلين"، أنها من أهم أعضاء المجتمع البشري بل هو منحصر على حقيقتها، وهو الزواج، من أهم أجزاء كيان المجتمع البشري وأجياله. ففي قصة نصيب نجد أن المرأة نصيب الرجل ونصفه الذي يكمله، والرجل يسير خلف البحث عن نصفه الآخر وهو نصيبه. كما يصوره لنا القاص في قصة رجل مضطر إلى بحث المرأة التي ستكون نصفه الآخر، فهي كما تلي في القصة:

"في حياة كل رجل لحظة يشعر فيها فجأة بأنه مثل غطاء الطبق الذي لا يجد طبقه، والويل لمن لا يفطن إلى هذا الشعور الا متأخرا، انه يترك عندئذ كل شيء وينقلب مجنونا بتلك الفكرة المسيطرة : البحث عن شطره الآخر.

[3]. نفس المصدر، ص: 123.
[4] توفيق الحكيم، **أرني الله**، (قصص قصيرة فلسفية)، المصدر السابق، ص: 123-124.

كان بطل هذه القصة من هذا النوع من الرجال . شاب مجد طموح تخرج في الجامعات مهندسا بارعا. درس في مصر ثم في الخارج وكان في مقدمة أقرانه دائما. لا يعرف غير العمل ولا تنظر عيناه غير طريق مستقبله الناجح.

وقد ركض في هذا الطريق بالفعل حتى بلغ درجة "مدير أعمال" وكاد يشرف على الخامسة والثلاثين وهو مستغرق هذا الاستغراق في عمله الهندسي . وإذا بغتة تدهمه هذه اللحظة الحاسمة. وإذا هذا الغطاء الذي كان يجري على "سنه" ناهبا الأرض كأنه كل شيء، قد اصطدم بجدار تلك اللحظة العجيبة ، فوقف ودار حول نفسه دورات ثم انبطح على ظهره ورن معدنه رنينا مكتوما وكأنه يهمس: "ما انت الا غطاء الطبق!" وأفاق المهندس بعدئذ وليس في رأسه غير فكرة واحدة: الزواج.

ودهش أصدقاؤه لرنين هذه الكلمة في فمه ، فهم لم يسمعوها قط منه، ما الذي حدث ؟ وهم الذين طالما فاتحوه من قبل في هذا الامر، فلم يجدوا منه غير الصدوف وعدم المبالاة. لقد كان كلما ذكرت أمامه "الزوجة" - أو النصف الآخر ، أو شريكة الحياة - يبدو عليه كأن الموضوع لا يعنيه ولا يفهم مغزاه، ويبتسم أحيانا ابتسامة المتعجب لغلو الناس في الوصف واسرافهم في التعبير. لقد كان يحس احساسا أكيدا انه كامل بنفسه. وأنه واحد صحيح لا نصف ولا ثلث ولا كسر من عدد. انه درس الحساب والجبر والرياضيات العليا فمنذا يقنعه بأنه أقل من رقم، وأنه نصف فقط، وأن هنالك نصفا آخر في مكان ما ينقصه ليكون الناتج واحدا صحيحا ؟ هذه المسألة الحسابية الآدمية من الذي وضعها ؟ ولماذا ؟ ولمصلحة من ؟ لا .. لا .. انه لا يظن الطبيعة مشغوفة إلى هذا الحد هي الأخرى بعلم الحساب .. لتجعل من الرجال والنساء أرقاما أو كسورا من ارقام تجمع بينها وتطرح. كان هذا كلامه فيما مضى. أما الآن فهو يقول لأصحابه: "صدقتم، الحياة حساب .. الحياة مسألة حسابية . أنا كسر .. أنا نصف .. اجمعوني من فضلكم على النصف الآخر!"[5].

وخلال الفوز بزواج هناك كثير من المعضلات التي نزل فيها البطل، كما يبين لنا القاص بأسلوبه الممتع، يقول:

"وقد بر بوعده، فما أزفت الرابعة والنصف حتى كان قد تهيأ وتجهز وارتدى خير ثيابه، ووقف أمام المرآة يضع منديله الحريري في جيب الصدر، وينظر إليه وقد تدلى وتهدل، فرأى أن يخفي بعضه ولا يبرز غير طرفه، اعتدالا في ادعاء الأناقة، واقتصادا في إبداء الخيلاء، ورضى عن مظهره. فنزل إلى الطريق قاصدا بيت العروس، وسار في الشارع وكل شيء فيه مبتهج فرح، وقد غمر الاطمئنان قلبه فبدد حيرته، لقد انتقى له القدر شريكته، فلم يبق إلا أن يتقبلها منه شاكرا، آه للانسان! ما أشد عجزه! هنالك مسائل لا يرتاح إلى حلها إلا إذا سقط عليه المفتاح من السماء! وهنالك مواقف يواجه فيها الإنسان مفرق طرق، فلا يسعفه إلا دفعة في ظهره من يد القدر نحو إحداها.

كانت مثل هذه الخواطر تجول في ذهن المهندس وهو يواجه مفرق طرق "ميدان سليمان باشا" وإذا فجأة يحس دفعة في ظهره شديدة قاصمة قد طرحته على الأرض، وإذا شيء كالعجلات يمر فوق جسمه، وكان هذا مبلغ وعيه لكل ما حدث.

[5]. توفيق الحكيم، **مدرسة المغفلين**، (مجموعة القصص القصيرة)، (مصر: مكتبة مصر)، ط: 2000م، ص: 92-93.

ليس يدري على التحقيق كم من الزمن مضى عليه وهو في اغمائه، لكنه عندما تنبه وجد نفسه على فراش وثير في سرير مستشفى، وجسمه كله مغلف بالأربطة الصحية وقد سمع من يهمس حوله قائلا: "لا تتحرك" فحول بصره جهة الصوت، فرأى طبيبا وممرضا وممرضة في ثيابهم البيضاء، وقد علم منهم أنه قد أجريت له عملية "جراحية" وأنه قد كسر له ضلع، وأنه في هذا المستشفى منذ أيام، وأن حالته كانت خطرة بادىء الأمر، ولكن الخطر زال الآن، وهو لا يدري ما الذي حدث حتى وصل إلى هذه الحالة، وأحب أن يستفسر فمنعه الطبيب من بذل أي حركة أو جهد، ولم يسمح له إلا بالرد المقتضب على أسئلة رجال الضبط الذين جاءوا لسماع أقواله في الحادث، وقد أجابهم بأنه لم ير شيئا، لا السيارة التي صدمته ولا لونها ولا سائقها، فختموا محضر تحقيقهم وانصرفوا عنه، وتأمل هو حاله لحظة واكتفى بالهمس في أعماق نفسه:

- ضلع مكسور! هذا كل ما وصلت إليه، أنا الآن "كسر" بحق دون أن أظفر مع ذلك بالتي تكملني!"[6].

وقد تكفلت شابة بعلاجه ظن الشاب أنها هي من كان يود خطبتها لكنه يتبين بعد أنها شابة أخرى لا تحسن السياقة فصدمته، لكنها كانت من نصيبه إذ سيتزوجها في الأخير. كما يصور لنا القاص حالة الشابة أمام الشاب الذي صدمته بسيارتها المسرعة:

"- آن الأوان أن أعترف لك يا سيدي بجريمتي، أنا التي صدمتك بسيارتي، وإني بالطبع متأسفة جدا. ولكنه القدر أقوى منا ومن إرادتنا. كنت مسرعة وهذا خطير مني ولا شك ولكني كنت مدفوعة برغبتي في شراء ثوب حريري رأيته في الصباح وخفت أن تسبقني إلى شرائه أخرى. وعندما مرت العجلات على جسدك، لم أقف ومضيت في السير بعين السرعة، لا عن قسوة مني ونقص في المروءة، بل عن خوف شديد استحوذ علي، لقد هربت من جسدك الملقى على الأرض كمن يهرب من شبح. وعدت توا إلى بيتنا غائبة العقل. ورأتني والدتي فها لها اضطرابي، وقصصت عليها ما حدث، فنصحتني أن أخبر والدي بكل شيء. وهو من رجال القضاء. فلما سمع والدي القصة حار هو الآخر فيما ينبغي عمله. فإن التبليغ عن هذا الحادث معناه التعرض للحكم إذا مات المصاب، كما قال لي، وإذا لم نبلغ فإننا نتحمل تقريع الضمير طول حياتنا، وإن كرامته كقاض تمنعه من أن ينصح أحدا ولو كان ابنته بالهرب من العدالة وإن حنانه كأب يمنعه كذلك من أن يدفع بابنته الوحيدة إلى السجن. وانتهى به التفكير إلى أن ترك لي حرية التصرف. بعد أن أفهمني كل النتائج المحتملة لهذا الفعل، وجعل يعنفني على جنوني في سرعة القيادة. ونصحني أخيرا أن أتتبع حال المصاب على الأقل وأن أعمل على علاجه وانقاذه، فإنه إذا شفى لن يقع علي من العقاب أكثر من غرامة مالية، ولهذا بادرت أسأل أقسام البوليس عن المصاب في حادث السيارة عصر ذلك اليوم في ميدان سليمان باشا، إلى أن اهتديت إليك.

وأصغى المهندس إلى حديثها، وكأنه يهبط رويدا رويدا من السحاب حتى لاصق التراب. وما فرغت روايتها حتى نظر إليها قائلا:

[6]. توفيق الحكيم، **مدرسة المغفلين**، (مجموعة القصص القصيرة)، المصدر السابق، ص: 100-101.

- يا لك من مجرمة أثيمة! كسرت ضلعي، وأضعت خطيبتي، وبددت أحلامي! وكل هذا لن تعاقبي عليه بأكثر من غرامة مالية!

- لأنك شفيت والحمد لله!

- أنا شفيت! وما قيمة شفائي؟ إن موتي الآن خير من حياتي، أكل هذا العطف الذي نلته منك، وهذه الدمعة التي سقطت من عينيك، وهذا الشحوب الذي بدا عليك لم يكن من أجلي ولا خوفا علي، بل خوفا على نفسك من الحبس؟ اسمعي أيتها الآنسة، أو الست، أو الزوجة المزعومة.

- الزوجة؟

- طبعا، و ماذا تريدين أن يكون ظنهم هنا بسيدة مثلك تعنى هذه العناية برجل مثلي؟ لقد خطر في بالهم بالضرورة أنك زوجتي، ولم يخطر في بالهم أنك قاتلتي!

- لا تقل إني قاتلتك، فهانت ذا الآن في صحة جيدة.
- كم كنت أتمنى أن أموت لتدخلي أنت الحبس.
- إلى هذا الحد تبغضني؟
- هل أبلغت الحكومة أنك أنت الجانية؟
- لم أبلغ بعد، لقد رأيت أن أنتظر حتى تشفى.
- وإذا كنت مت؟
- كنت ذهبت وقدمت نفسي للبوليس.
- أأنت واثقة أن القضاء كان يحكم بحبسك في حالة وفاتي من الحادث؟
- كان ذلك مرجحا لأني من أرباب السوابق.
- أنت؟ من أرباب السوابق؟

- نعم، في حوادث السيارات، سبق لي أن صدمت حمارا محملا بالحطب في طريق عزبتنا في صيف العام الماضي، ومنذ ستة أشهر صدمت حمارا آخر يحمل قصبا في سكة الهرم.

- حضرتك أخصائية في صدم الحمير؟!

فنظرت إليه وهو مغلف في أربطته الصحية. وضحكت ولم يفطن هو إلى "النكتة" ومضى يقول:

- أيتها الجانية، أنا بصفتي المجني عليه، لا بد أن يسمع رأيي في جريمتك. هل تريدين حكمي أو حكم المحكمة؟

- حكمك.
- حكمت عليك بالحبس.
- تريد حبسي؟
- في أحضان الزوجية.

فنظرت إليه وابتسمت ابتسامة المحكوم عليه الذي رضي بالحكم ولن يستأنفه أو يناقض فيه.

مضى عام على زواجهما، فأدرك المهندس أن "القدر" حقا قد عرف كيف يهديه إلى "طبقه" وشطره ونصفه وزوجته المثلى. وقد آمن أن للقدر من الوسائل أحيانا ما لا يخطر على بال البشر.

وهل كان مثله يتصور أنه سيلقى شريكته يوما بهذه الطريقة؟ إن كلمة "النصيب" التي يذكرها الناس دائما في بساطة ليست إلا مظهرا من مظاهر فن "القدر" العجيب في تدبير مصائر الآدميين.

واحتفلا في المساء بمرور العام على ذلك الزواج، فهمس في أذن زوجته قائلا:

- كان لا بد لحواء أن تأخذ من آدم ضلعا حتى توجد، وكان لا بد لك من أن تكسري لي ضلعا حتى أجدك!"[7].

كذلك نجد في كثيرا من المواقع خلال دراستهنا لهذه القصص للكاتب القاص توفيق الحكيم، التي تظهر شخصيته الجادة لرقي المجتمع البشري عامة والمجتمع المصري خاصة، أن الكاتب القاص يريد كل الإرادة أن تجد المرأة حقها، وقدر منزلتها في المجتمع. وبذل الكاتب أقصى جهده في إقناع القراء لهذه القصص الممتعة في عطاء المرأة حقها ما أعطاها ربها. وكذلك نقد الكاتب على المجتمع المصري الذي ظلم على هذا النصف البشري نقدا شنيعا.

.....

المصادر والمراجع:

- أرني الله، توفيق الحكيم، دار الشروق، القاهرة،مصر، عام1953م.
- عدالة وفن، توفيق الحكيم،ط2، دار الشروق، القاهرة، مصر، عام2008م.
- فضيلة الرحم، المرأة في القصة القصيرة "مؤتمر الحب" لتوفيق الحكيم.
- مدرسة المغفلين، توفيق الحكيم،ط2، دار الشروق، القاهرة،مصر، عام2015م
- المؤلفات الكاملة، لتوفيق الحكيم،ط1، مكتبة لبنان ناشرون، عام1994م.

[7]. توفيق الحكيم، **مدرسة المغفلين**، (مجموعة القصص القصيرة)، المصدر السابق، ص: 110-111.